# ❖النظرية الأدبية والعلم

**1 – مجال العلم :**

– مجال العلم الواقع يبحث فيه عن قوانينه وأدلته ، ولا تختلف كتابات العلماء عن الطبيعة وأحوالها مثلا لأنها هذه الكتابات خاضعة للمشاهدة والتجربة مستخلصا القوانين العامة من ظواهر الطبيعة ، مقدما لها الأدلة الحسية مستخدما لذلك العقل والمنطق .

– العلم موضوعي ، حيث يصف العالم ظواهر الطبيعة ولا يضيف إليها أي شيء من داخله أو من مشاعره لأن موضوعه الواقع فقط.

– العالم يكتفي بتسجيل ما تكرر أمام عينيه مبعدا كل تأثر نفسي عن ذلك.

– الحقائق العلمية لا تخضع لأزمات العلماء النفسية بل يرصد حركتها وسكونها بثبات حيادي وكأنه يصورها فوتوغرافيا دون أي تدخل ، لذلك تنماز هذه الحقائق العلمية بالتقادم الزمني غير خالدة بل تحتاج إلى التجديد.

– لا تهتم الدراسات العلمية بتاريخ الظواهر بل بتحديثها واكتشاف تطورها بحيث من المستحيل عودة الطبيب إلى كتاب قديم والاعتماد عليه في دراسة صنوف الأمراض وما يلزمها من أدوية .

– تحتاج الكتب العلمية إلى إعادة النظر فيها وتنقيحها لذلك تلغي الحقائق العلمية الجديدة وما سبقها من اكتشافات ونظريات .

– يحتكم العلم إلى قانون الصدق والكذب فإن لم تكن صادقة فقدت قيمتها

– العلم حيادي في نقله لحقائق الواقع لأنه نظري ، وإذا تخيل العالم قانونا أو فرضية لم يكن مقصود لذاته وإنما يقصد به إلى تحقيق رأي علمي فإن لم تثبت صحته لم يكن لخياله أي قيمة ، فهو خيال مرتبط بالحقيقة العلمية ولا يمكنه تجاوزها .

– يهتم العلم بصحة العلاقات بين النظرية والواقع ، فالمنطق لابد أن يوافق كل أجزاء القول فيه ووحدة ما يسبق وما يلحقه من الاجزاء .

– لا يمكن أن نستشهد بنظرية علمية دون غيرها لأن فهمها مرهون بفهم ما سبقها وما قبلها من نظريات علمية لأنه يجب أن نفهم الكل وليس الجزء ، فالحقائق العلمية ترتبط ببعضها ارتباط الأسباب بالمسببات والعلل الحتمية بالمعلومات .

– ليس للكلمة وظيفة في التجربة العلمية سوى أدائها المعنى العلمي ، أو المنطقي فالعلماء لا يحتكمون إلى أي قواعد انتخاب أسلوبي.

**2– مجال الأدب :**

– مجال الادب البحث عن علاقتنا بالواقع ومدى احساسنا وتأثرنا به ، وهذا ما يبرهن مدى اختلاف النصوص الادبية باختلاف رؤى الكتاب وتعدد أساليبهم .

– يهتم الأديب بشعوره وما ترتب عنه من حالات نفسية مازجتها أحوال الطبيعة .

– الأدب ذاتي لان موضوعه الرئيسي هو ذات المؤلف ووجدانه لذلك كانت تجارب الأديب متفردة ، ولا يتشارك فيها الأدباء جميعا فالأحوال النفسية لا تتكرر وقد تختلف النصوص الأدبية مثلا في وصف المنظر الواحد لأنها مرتبطة بلحظات تأثر الأديب بها فطريق قصير في الجبل قد يبدو طويلا حسب إحساسه وما يعانيه من أزمات نفسية.

– المواضيع الأدبية خالدة ومتجددة الأثر الدليل على ذلك دراستنا لنصوص هوميروس وشكسبير وامرئ القيس والمتنبي رغم مرور زمن طويل على كتابتها.

– النماذج الأدبية تستفيد مما سبقها ولا تلغيها بل تضيف لها وتعمل على انضاجها واغنائها ، فالأدب لا يتقدم بل يتقدم العلم ، فقد كان داروين معاصر ل ديكنز وكان الأول عالما وكان الثاني قصصيا ، واشتهر الأول بكتابة أصل الأنواع وما يلحق بالكائنات من تطور واشتهر الثاني بروايات قيمة كرواية " ديفيد كويرفليد" ولو كان داروين حيا لاضطر

لحذف صفحات كثيرة من كتابه وصحح كثيرا من المعلومات ، أما ديكنز فلن يغير أي شيء مما كتبه .

– الآثار الأدبية تستمر فاعليتها لأنها قائمة على أشياء ثابتة في طبيعة البشر ، فالناس سيظلون يحيون بنفس الدوافع والعواطف والغرائز والبواعث لذلك لا نحكم على الأقاويل الأدبية بالصدق والكذب

– يسوق الأديب عواطفه سواء خيرة أو شريرة من طبيعة الحياة البشرية وهي طبيعة يندمج فيها الأخلاقي بغير الأخلاقي ، والمألوف المعتاد بالشاذ الذي يجري على غير قياس والذي يحفز المتابع إلى البحث عن أسباب هذا الشذوذ والتمرد للاحتراس والحذر منه .

– الخيال الأدبي يبقى ببقاء النموذج يقول أبو العلاء المعري في كلفة القمر :

وما كُلفَة القمر المنير قديمة ولكنها في وجهة أثر اللَّطم

فخياله غير صحيح من الناحية العلمية ولكنه خيال أدبي باق يصور شعورا حينيا وهو شعور الحزن ، فليس مشروط هنا صحة الأدلة بل يكفي أن تكون مقنعة فقصة السندباد البحري تجانب الأدلة العقلية ومع ذلك تثير الإعجاب لأنها توافق شعورا داخليا وليس من الضروري تطابقها مع الواقع .

– كثيرا ما يغيب المنطق عن أجزاء النموذج الأدبي خاصة في الشعر الغنائي وفي مذاهبه المستحدثة من رمزية وسريالية ، إذ تتشابك الأبيات والصور بعلاقات واهية وقد فسح السرياليون لمكتوبات تظهر فجأة من خلال قصائدهم تطمس العلاقات المنطقية بين أبياتها طمسا ، وما نصنعه من معاني حين نستشهد بأبيات معينة دون القصائد كاملة .

– قد تفقد العبارات الأدبية بعض الارتباط المنطقي ويعلله النحوين في كثرة حروف العطف لأنهم يدرسون باب الوصل والفصل بين الجمل في اشارة منهم لصفة المنطق العقلي لكن ما يسيطر على العمل الأدبي هو منطق العاطفة لذلك يبتعد الكتاب عن استعمال حروف الوصل ويركزون على المعنى غير المحدود للفظة الأدبية.

– المادة الأدبية يصعب ترجمتها فمهما كانت الترجمة دقيقة فإنها لا تستطيع أن تحتفظ بمواطن التعجب والجمال في أسلوبه ، فلابد للمترجم من معرفة قواعد علم اللغة وأن يكون كاتبا ثانيا للنص الأصلي ويكون أديبا في لغته حتى يحافظ على طاقة الصورة الجمالية للنص الذي ينقله .[1]

## ❖ النظرية الأدبية والدرس النقدي

الدراسة النقدية تفرض علينا تعريف مجال الدراسة وهو النص .

☜**مفهوم النص** : النص نسيج من الكلمات يترابط بعضه ببعض كالخيوط التي تجمع عناصر الشيء المتباعدة في كيان كلي متماسك[2] وهو في رأي هاليدي Halliday الكلام الذي يقال أو يكتب من أجل أن يكون كيانا متحدا ، ولا عبرة بطوله أو قصره وهو ترابط مستمر يوافق فيها محور الاستبدال paradigmatic محور المجاورة بحيث يتجلى الترابط النحوي على أشده ، والعناصر التي يتألف منها لابد أن يتبع بعضها بعضا بطريقة تيسر على القارئ أو المتلقي تسلم الرسالة التي يبثها المتكلم ، أو الكاتب فيه ويستوعب محتواه الكلي .[3]

**والملفت للانتباه** تجاور مصطلحي الكتابة والنص على وجه الترادف في حين

« يطفر النص فجأة إلى الذهن عبر هذه الكتابة التي تغدو مماثلا ( إقونة) لهذا النص غير أن قولنا : النص لا فقد يكون النص مجرد عبارة إشهارية كما قد يكون

1 – ينظر مجال العلم والأدب : شوقي ضيف :" النقد الأدبي " دار المعارف القاهرة مصر ط 9 ص 69– 76

2– الأزهر زناد :" نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا " المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط1 1993 ص 12

3– ابراهيم خليل :" في نظرية الأدب وعلم النص بحوث وقراءات " ، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت لبنان ط 1 2010 ص 220

عبارة عن حكمة سائرة أو مثل جار بين الناس أي ليس من الضرورة أن يكون النص قد كتب كتابة من قبل في كل الأطوار . وأما الكتابة- بالمفهوم الرقني وليس بالمفهوم الأدبي- فتأتي هنا متأخرة لتسجيل النص وتقييده بالكتاب .... ولكن هذه حال لا ينبغي أن تقلب موازين هذه المسألة ما دمنا نقصد إلى الكتابة الأدبية بالمفهوم الإبداعي ، وليس إلى الكتابة بمفهوم الخط ، فكأن النص مكتوبا وغير مكتوب تنضوي تحته كل الآداب الشفوية المروية والمحفوظة في الذاكرة الجماعية للشعوب في حين أن الكتابة الأدبية هي عملية إنجاز نسج لغوي يجسد نصا أدبيا أساسه الخيال لا الواقع وفضاؤه الحيز لا الجغرافيا »[1]

**والحيز الأدبي كما انسل مفهومه من بعض المرجعيات بناء وهندسة** وكما رآه عبد المالك مرتاض : « حجما أو وزنا أو امتدادا أو متجها أو حركة في سلوك الشخصيات أو في تمثل النص الذي يتعامل مع هذا الحيز ، فالشخصية الروائية حين تتنقل من حيز (أ) إلى حيز ( ب) عبر طريق محسوس فهي تتنقل في حيز ... كما هي حركة السندباد البحري في رحلته العجيبة مثلا ، فإنه عليه أن يرصدها من موقع الانطلاق إلى حيز التيه ، إلى حيز الرجوع إلى موقع الأول ، وتحليل هذه الحركة الحيزية لشخصية السندباد هنا هو الذي يحدد طبيعة هذا الحيز وتأثيره في مسار الحدث الحكائي للأسطورة ... وقد يكون الحيز ضربا من المكان الجغرافي فنسميه :" **المكان** " وقد يكون **خياليا** خالصا فيتوهم للقارئ وجوده المكاني »[2]

والنقد على العموم هو :« النظر في الشيء وتفحصه وتمييزه والحكم عليه ، وقد أفرزت الأحكام النقدية في ما تلي من الأزمان شروحا وتحاليل وتفسيرات ، وهي المفاهيم التي ستنتهي إلى صياغة نظرية جديدة ترى في النقد نشاطا يسعى إلى

[1]- عبد المالك مرتاض " نظرية النص الأدبي "دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 3 2015، ص 123

[2]- المرجع نفسه ص : 301- 303

الكشف عن مواطن الأصالة في الأدب ، عن طريق التمييز بين جيده ورديئه وقد يضيف بعضهم إلى هذه العناصر عنصر المقارنة ليعدها ركنا أساسيا من أركان العملية التقويمية »[1]

☜**مفهوم المنهج** : لما كان النص الأدبي نسيج لغوي معقد التركيب غامض الدلالة توجب على الناقد الادبي تتبع نظامه، وايضاح ما غاب منه عن المباشرة والتصريح لذلك يحتاج النص إلى منهج أو طريقة معينة سميها الدارسون بالمنهج الذي أدى ظهوره إلى الباس الأدب لباس العلمية والابتعاد بالنقد قدر المستطاع عن الأحكام المعيارية والانطباعية ، والولوج إلى عالم الذوق وضروب الانفعال التي تترتب عن آثار النصوص على القراء .[2]

أشار **صلاح فضل**[3] إلى ارتباط مفهوم المنهج بتيارين وهما :

☜**الأول : منطقي** ، ويدل على الاجراءات والوسائل العقلية التي تؤدي إلى نتائج معينة ، لذلك فإن كلمة منهج انطلقت من اليونانية ، واستمرت في الثقافة الإسلامية لتصل إلى عصر النهضة وهي ما تزال محتفظة بالتصورات الصورية طبقا للمنطق الأرسطي بحدوده وطرق استنباطه ، فالمنهج في هذه المرحلة يطلق عليه المنهج العقلي لأنه يلتزم بحدود الجهاز العقلي ليستخرج النتائج منها ؛ وهو في ذلك حريص على عدم التناقض .

---

1- صالح هويدي :" المناهج النقدية الحديثة ،أسئلة ومقاربات " ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع دمشق سوريا ط 1 2015 ص 14

2- حمادي صمود : في نظرية الأدب عند العرب " النادي الأدبي الثقافي جدة السعودية ط 1 1990 ص 195- 196

3- صلاح فضل :" مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته " ، ميريت للنشر والمعلومات القاهرة مصر ط1 2002 ، ص : 9- 11

**الثاني : علمي** ، ارتبط في عصر النهضة بحركة التيار العلمي خاصة بعد ظهور كتاب ديكارت " **مقال في المنهج** " واحتكم اضافة للعقل إلى الواقع وقوانينه فالمنهج لازم نمو الفكر العلمي التجريبي ، ووقع التزاوج بين طرائق العلماء والمنهجيين ونتج ما يسمى بالمنهج التجريبي .

**والمنهج النقدي له مفهومين :**

**1- عام : يرتبط بطبيعة الفكر النقدي ذاته في العلوم الانسانية أسسها ديكارت ومبدأه في ذلك الشك ، للوصول إلى اليقين فيقبل القضايا بعد اختبارها والتدليل عليها حتى يتأكد من سلامتها وصحتها ومن ثمة يتخذها أساسا لبناء النتائج المراد الوصول إليها .**

**2- خاص : يتعلق بالدراسة الأدبية والنظر في مظاهر الابداع الأدبي بأشكاله وتحليلها ، وهو بذلك يتحرك طبقا لمنظومة خاصة به يتألف من مستويات النظرية الأدبية**

لذلك **فالمفهوم المعرفي المؤسس للأدب** هو النظرية والمنهج النقدي الذي يختبر توافق هذه النظرية مع مبادئها ، ويمارس فاعليته ويتم تداوله عبر جهاز اصطلاحي يحمل قنوات تصوراته ويضمن كيفية انطباقها مع الواقع الابداعي .

والمنظومة الاصطلاحية تمثل الطرف الثالث في العملية المنهجية الممثلة في :

الأدوات المنهجية التي يطبق بها المنهج ، متغيرة من منهج إلى آخر ومميزة كل منهج عن آخر والمصطلح المنهجي يختلف باختلاف النظريات وتطورها الزمني والمعرفي والحضاري ، حيث شهدت تحولات النظرية الأدبية ثلاث مراحل الأساسية :

1) – عندما كانت الفلسفة هي مركز الثقل الموجه لحركتها .

2) – عندما كان التاريخ يحتل مركز الثقل.

3) – تنتقل اللغة لتصبح النموذج المسيطر على نظرية الأدب في العصر الحديث

وقد اعتمدت النظرية الأدبية على ❋**المذهب الأدبي**❋ الذي كان منظومة من المبادئ التي تعطي صورة كلية ، وإجابة تامة عن السؤالين الأساسين عن ماهية الأدب وعن علاقاته المتعددة ، يؤمن بها الأديب مبدعا وناقدا ويمارسها دون أية فرصة للتساؤل حولها أو التشكك فيها ، أو إخضاعها للمواجهة وإعادة النظر .

## ❖النظرية الأدبية وعلم الجمال.

تتطلب الدراسة الجمالية للأدب مفاهيم معينه هي:[1]

**1- مفهوم الفن** : إن لفظ الفن في اللغة العربية و Art في اللغات الأجنبية والقواميس الاصطلاحية و Ars و Artis في اللغة اللاتينية وكذلك " تيخنة" في اللغة اليونانية كان لفظا يدل في معناه على عمل يتميز بمهارة ودقة وإتقان في الصنعة.

كما قد اختلفت أراء الباحثين على مر العصور في تحديد معنى الفن .

**- في موسوعة روزنتال الفلسفية : الفن** شكل نوعي من أشكال الوعي الاجتماعي والنشاط الانساني ، يعكس الواقع في صور فنية وهو واحد من أهم وسائل الاستيعاب والتصوير الجمالي للعالم والإنسان باعتباره حاملا للعلاقات الجمالية ، يكون دائما في المركز من أي عمل فني والأنواع الرئيسية للفنون الجميلة هي : الأدب – الرسم – النحت – الموسيقى – المسرح – السينما .

1- سائد سلوم :" علم الجمال " ص 25–https//pedia.svuonline.org

- **في موسوعة لالاند** : يدل الفن على كل إنتاج للجمال من خلال كائن واع ، وفني ( صنعي ) Artistique مصنوع بفن : ما له قيمة جمالية.

- **جورج سنتيانا** : الفن عند جورج سنتيانا على معنيين :

❋عام : يجعل من الفن مجموع العمليات الشعورية الفعالية التي يؤثر الإنسان عن طريقها على بيئة الطبيعة التي يشكلها ويصوغها ويكيفها .

❋خاص : يجعل من الفن استجابة للحاجة إلى المتعة أو اللذة ، أو السرور الجمالي.

- **كانط** :اعتبر كانط الفن تمثيل جميل لشيء ما ليس بالضرورة أن يكون جميلا فتدخل الإنسان الواعي هو الذي يجعل هذه الأشياء جميلة .

- **ليف تولستوي** : اعتمد تولستوي على التفسير الدلالي والايضاح للمسائل المعقدة بقوله :" وتكمن مسألة الفن تحديدا في جعل المسائل العقلية غير المفهومة والصعبة المنال مفهومة وسهلة المنال ، ويعتقد المتلقي عادة بعد أن يحصل على انطباعات فنية صادقة أنه كان يعرف هذه الانطباعات سابقا ولكنه لم يستطع التعبير عنها"

**فالفن هنا يرتبط بالمجتمع وهو مرآة المجتمع أو شكل من أشكال الوعي الاجتماعي.**

- وقد اعتبر الفن محاكاة الطبيعة تمثيلا وتسجيلا لمظاهر الطبيعة ، فالفنان يقوم بإعادة صياغة الأشياء الطبيعية يعيد ترتيبها وفقا لثقافته وثقافة عصره وبيئته

- وقد عرفت الفنون الحداثية اعتمادا على فكرة الخلق الفني، أو الابتكار أو الابداع الفني باعتبار الفن عملا وأداء وتعبيرا لم يسبق وأن فكر به أحد من قبل . [1]

[1] - المرجع السابق ص : 25

وبتعبير **أبي حيان التوحيدي** : « تجمع بين الفن والجمال علاقة فلسفية تتعلق باكتساب معرفي وفكري واستعداد فطري وقدرة على المثاقفة لدى الآخر . ولم يعرف العرب مصطلح الفن قديما إلا تحت مصطلح الصناعة .»[1]

**هيجل** عرف الشعر بأنه فن أداته اللغة .

ويذهب **يوري لوتمان** في كتابه " بناء النص الفني" إلى أن الفن وسيلة من وسائل التواصل لأنه يسعى إلى ربط العلاقة بين الباث والمتلقي على أساس التأثر والتأثير الذي يوفره عنصر الجمال.

**2- مفهوم الجمال :**

ويوضح كانط **مفهوم الجمال** بأنه :" هو الذي يعجب على امتداد العالم ، دون أن يرقى إلى مستوى " مفهوم " ، أي أنه لا يرقى إلى درجة أننا نستطيع البرهنة عليه ثقافيا أو منطقيا ؛ ذلك بأن الجمال قيمة غير قابلة للبرهنة والتقنين ... والجمال هو أحد المفاهيم المعيارية الثلاثة التي تتمخض لأحكام القيمة وهي : الجمال ، الحق ، الخير ، ونظرا لالتصاقها بتفكير الإنسان وذوقه ووجدانه ، كان للجمال علم **:هو علم الجمال الذي يبحث في نظريات الجمال ومقاييسها.** [2]

**والجماليات** كما يعرفها ديديي جوليا " هي العلم الذي يبحث في الجمال والعاطفة التي يقذفها فينا " ويمكن تمثل مسألة الجماليات في مفهومين اثنين :

**مفهوم الابداع ومفهوم التلقي الجميل** ، فإذا كانت الميتافيزيقا إنما تعنى أساسا بظاهرة الإبداع حيث خُول لها قياس طاقات الإنسان وتحليلها ، فإن الجماليات بمعناها الحقيقي لم ترق إلى مستوى النظرية التي تعنى بالبحث في مفهوم الإدراك أو

[1] - عبد المالك مرتاض :" نظرية النص الأدبي " ص : 61
[2] - جميل صليبا :" معجم الفلسفة ص 407- 408

تلقي الفن وتذوقه ، أي كحكم قائم على الذوق والتذوق ، أو عاطفة المتعة النفسية إلا منذ عهد الفيلسوف كانط .

☜**والجمالية** في تصنيف المدرسة الفلسفية الألمانية ضربين :

– جمالية الشكل ويمثلها كانط ويقرها في باب المعرفة التجريدية ويميز الأفكار الجمالية العقلية في كتابه " نقد ملكة الحكم " ، ويبحث في البرهنة على أن هاذين الصنفين من الأفكار لا يمكن إدماجهما . غير أن جاك دريدا لا يقر بثنائية الشكل والمضمون رافضا ثنائية دوسوسير الماثلة في الدال والمدلول ذاهبا إلى أن ذلك كله مجرد رفات رميم من بقايا الميتافيزيقا الأوروبية [1]

– وجمالية المضمون ويمثلها هيجل .

**3– وظيفة الفن :**

هي التأثير الجمالي في المتلقي ولما كان حقل الأدب الذي هو نتاج فني أساسه الخيال ولحمته الجمال وغايته توظيف هذا الجمال من أجل تبليغ رسالته الفنية إلى المجتمع كذلك هو الأدب تأثير جمالي الذي أنشأ في النفس " إلهاما" أدبيا مصدره داخل الفنان وقريحته والذي يتشكل في شعرية الفن والخارجي أي الواقع برؤية جمالية يتخذها المبدع أثناء إنشائه لنصه ، وغايته التبليغ بأشكال مختلفة ( الايقاع– الألوان– الحركة – الكلمات ..)[2].

عليه مثلت النصوص الأدبية وثائق تاريخية ، نقلت جوانب متعددة من حياة المجتمعات وأنماطا كثيرة من الحضارات ، كما مكنت الدراسة الجمالية وسهلت على

[1]– عبد المالك مرتاض :" نظرية النص " ص : 71– 72

[2]– المرجع نفسه ص 77– 79

القراء مطالعة هذه الاختلافات الابداعية عبر مناهج مناسبة وبتقنيات اصطلح النقاد ومؤرخو الادب تسميتها نسبة لطبيعة النص و طبيعة التيار الأدبي.